

عشر)، والتي حولته من نص روحي متجاوز للمادة إلى نص مادي يخدم مصلحة المفسر . وقد تلقفت الأوساط الاستعمارية السياسية هذا التفسير، ثم تلقفه منهم بعض المثقفين من يهود غرب أوروبا ووسطها، ثم تبنته النخب الحاكمة في الغرب، إلى أن أصبح جزءاً من الاستراتيجية الغربية العامة تجاه العالم الغربي .

والحركة الصهيونية، رغم علمانياتها الواضحة، اكتشفت القيمة التعبوية للخطاب الديني الحرفي، فتبنته، وتبنت مصطلحاته فأفرغتها من محتواها الديني وفرضت عليها محتوى مادياً زنياً من خلال التفسير الحرفي . وقد ترجم التفسير الحرفي نفسه إلى الدولة الصهيونية التي تدّعي أنها دولة يهودية، رغم أن معظم مستوطنها لا يعرفون شيئاً عن العقيدة اليهودية، وغالبيتهم لا تمنع في إجراء زواج بين رجلين أمام حائط المبكى على يد حاخام إصلاحي (كما حدث في عام ١٩٩٨) ! على الرغم من كل هذا، كان على الصهيونية أن تتجمل بالديباجات الدينية (الحرفية)، حتى يمكنها خداع الجماهير اليهودية وتجنيداً وراء الدعوة الصهيونية .

لكل هذا يكون الادعاء بترادف الصهيونية واليهودية ادعاءً باطلاً . ولكن مع هذا يجب أن نشير إلى بعض العناصر داخل اليهودية التي جعلت عندها قابلية لأن يُستولى عليها من قبل الصهاينة . وأولى هذه العناصر ما أسماه «التركيب الجيولوجي التراكمي»، وهي أن اليهودية مكونة من عدة «طبقات» متراكمة . . الواحدة فوق الأخرى، متجاورة دون أن تتفاعل، الأمر الذي أدى إلى وجود تناقضات جوهرية عديدة داخل العقيدة اليهودية . ويمكن أن نضيف إلى كل هذا اعتراف الشريعة اليهودية بالملحد يهودياً (باعتبار أن أمه يهودية) . ولذا كان من السهل على الصهاينة أن يجدوا من الفتاوى والسوابق في التراث الديني ما يعطي أساساً دينياً لدعواهم (المهرطقة من منظور اليهودية المعيارية) .

لكن العنصر الحاسم الذي أدى إلى وقوع اليهودية في أسر الصهيونية هو تصاعد معدلات الحلولية في اليهودية، ابتداءً من القرن الرابع عشر، بعد أن أصبحت القبّالاه (التراث الصوفي الحلولي) مقبولة من الحاخامات، حتى إن معظم